مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة
للُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكَّمة



العدد : 20
أبريل - يونيو 2026م

الجزء 2

Arcif
معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
Arab Citation & Impact Factor


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي

(رئيس هيئة التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي

(مدير التحرير)

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي

أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي

أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي

أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان

أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر

أ.د. سعيد العوادي

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عياد بن عيد الثبيتي

أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى

أ.د. سالم بن سليمان الخماش

أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. منصور بن محمد الغامدي

أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب

أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب

أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر

أ.د. حسن دربر

أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب

أ.د. عزالدين محمد المجدوب

أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي

أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.

– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– مقدّمة.

– صلب البحث.

– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.

– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.

– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: https://journals.iu.edu.sa/ALS

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	التعدد والتماثل في جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة دراسة وصفية في كتاب سيبويه (ت:١٨٠هـ) **د. ندى بنت صالح بن عبد الرحمن المحيميد**	١١
٢)	تعميم الدلالة في ألفاظ البئر **د. عبد العزيز بن صالح بن ردة الغانمي**	٨٥
٣)	التعبيراتُ الاصطلاحيةُ في كتابِ الزاهرِ في معاني كلماتِ الناسِ للأنباريِّ – دِراسَةٌ تَرْكيبيَّةٌ دِلاليَّةٌ **د. أمل مساعد سعد الأحمدي**	١٣٣
٤)	بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوّع القراءات: قصة سبأ أنموذجا **سعيد بن يحيى بن هادي العواجي**	١٩١
٥)	السِّياقُ وتنوعُ دلالات الصّوت في القرآنِ الكريمِ **د. نورة سلمان الجهني**	٢٥١
٦)	قضايا الاستشهاد في (موجز البلاغة) للطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) **د. هاني بن عبيد الله الصاعدي**	٢٩١

م	البحث	الصفحة
(٧)	آليات السبك النصي في ديوان رائحة التراب لإبراهيم مفتاح **د. أفراح أبو البشر محمد بابكر**	٣٥٥
(٨)	هندسة الأهواء في رواية "عرس الزين" للطيب صالح **د. عبد الله بن حسن محمد القرني**	٤٠٣
(٩)	منهج العقاد النَّقدي في مقدِّماته الغيرية كتَّاب القصَّة أنموذجًا دراسة تحليلية نقدية **د. ساري بن محمد الزهراني**	٤٦١
(١٠)	البنية الإيقاعية في ديوان: أبجديات الكون **د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني**	٥١٣
(١١)	فاعلية برنامج قائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها **د. عادل علي غانم السناني**	٥٧٣
(١٢)	فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. عبد الرحمن ضيف الله الهرساني**	٦٢٥

السِّياقُ وتنوعُ دلالات الصّوت في القرآنِ الكريمِ

Context and the Diversity of the Connotations of Sound in the Qur'an

د. نورة سلمان الجهني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة الملك عبد العزيز بجدة –المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: nssaljohani@kau.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
02/09/2022		04/12/2022

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-017

المُستخلص:

تناول هذا البحث السِّياق وتنوعُ دلالات الصوت في القرآن الكريم؛ وفق المنهج الوصفي التحليلي، فبدأ البحث بتمهيد تناول تعريف السياق لغة واصطلاحًا، وأنواع السياق، ودراسة السياق القرآني وأنواعه، ثم تعرضت الدراسة لدلالات السياق بطبقاته المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة، وارتباط كل منها بالسياق والمقام المناسب؛ حيث تنوعت دلالات الصوت وطبقاته في القرآن الكريم قوة وضعفًا وارتفاعًا وانخفاضًا، ومن ثم بيان دلالات الأصوات المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة، ومالها من تأثير في النفوس يرتبط بخصوصية السِّياق تلك الخصوصية التي تفرد بها القرآن الكريم، ويتضح ذلك بتأمل تلك اللفظة ودقتها في سياقها.

الكلمات المفتاحية: السياق، دلالات الصّوت، جمالية الأصوات، القرآن الكريم.

Abstract

This research deals with the context and the diversity of sound connotations in the Noble Qur'an. According to the descriptive analytical approach, the research began with a preface dealing with the linguistic and technical definition of context, the types of contexts, and the study of the Qur'anic context and its types. Where the connotations of the sound and its levels varied in the Noble Qur'an, strength and weakness, high and low, and then the indication of the connotations of high, medium and low sounds, and their effects on the soul, effects tied to the Qur'an's distinctive contextual particularity, a particularity that distinguishes the Qur'an and becomes evident when one contemplates a word and its precision within its context.

Keywords: The Context - Sound Connotations - The Beauty of Sounds - Noble Quran.

مقدمة

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وأشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيمثل التنوع بين دلالات الصوت في القرآن الكريم صورة من صور التنوع الأسلوبي في المقامات المختلفة؛ ذلك التنوع الذي لا يتسنَّى تفسيره، أو استكناه أسراره، في أي صورة من الصور إلا عن طريق الكشف عن وجه ملاءمتها لخصوصية السياق الذي وردت فيه، والوقوف على مدى التحامها أو ارتباطها العضوي بكل ما يحتويه هذا السياق، ويتفرد به من ملابسات وقرائن وأحوال.

لقد جاءت دلالات الصوت في القرآن في ثلاث طبقات مختلفة، لكل طبقة دلالاتها المتنوعة الخصوصية التي جعلتها سمة تعبيرية تميزت في سياقها، ويشمل السياق جانبي المقام والمقال، أو يتضمن سياق النص والموقف، فيتبين مدى دقة التعبير القرآني في استعمال هذه الدلالة وطبقتها، وارتباطها بالسياق الواردة فيه، فجاءت كل دلالة صوتية تحمل المعنى الأنسب والأليق في سياقها، فكانت هي الأدق في المقام دون غيرها.

وانطلاقًا من هذه الرؤية عزمت الباحثة على دراسة هذه الدلالات الصوتية، والكشف عن وجه التلاؤم السياقي بين كل دلالة من دلالات الصوت وخصوصية موقعه في البيان القرآني، والوقوف على السياق الخاص بكل دلالة من تلك الدلالات وأثرها في النفوس.

وفيما يخص الدراسات السابقة فلم أقع – خلال فترة البحث – على دراسة تناولت دلالات الصوت وتنوعها بطبقاتها المختلفة في السياق القرآني، ودقة استعمال التعبير القرآني لدلالة دون غيرها في السياق الواردة فيه، وإنما كانت تدرس دلالات الألفاظ في السياق القرآني بوجه عام، ومنها:

ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني، رسالة ماجستير من قسم

اللغة العربية كلية الآداب جامعة الشرق الأوسط في الأردن، للباحثة: تمام محمد السيد، ٢٠١٠م.

- دلالات الألفاظ في القرآن الكريم من منظور سياقي، قراءة نقديّة، للدّكتور محمد صحراوي، نشر في مجلّة الدّراسات اللغوية بالرياض، ٢٠٠٧م.
- الأبعاد النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، دراسة تحليليّة دلاليّة للدّكتور: مجيب سعد الكرعاوي، نشر في مجلة مركز دراسات الكوفة جامعة الكوفة بالعراق، ٢٠١١م.

أما هذه الدراسة فقد ركزت على دارسة دلالات الصوت والكشف عن وجه التلاؤم السياقي بين كل دلالة من دلالات الصوت وخصوصية موقعها في البيان القرآني وإيثار دلالة في سياقها الخاص الذي أصبحت خيطًا أصيلاً في نسيجه، ولبنة فاعلة في تشكيل بنيته الدلالية الخاصة.

وجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تفصيلها على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أسباب اختيار الموضوع وأهميته والدراسات السابقة.

التمهيد: تعريف السياق، وأنواع السياق الداخلي والخارجي، والسياق القرآني وأنواعه.

المبحث الأول: جمالية الأصوات المرتفعة بين التفظيع الذاتي وشدة الأثر.

المبحث الثاني: جمالية الأصوات المتوسطة بين الاتزان النفسي والفكر العقلي.

المبحث الثالث: جمالية الأصوات المنخفضة بين خوف النفس ورهبة الموقف.

التمهيد

أولاً: السياق لغة واصطلاحًا

السياق في اللغة:

جاء في لسان العرب: ساق الإبل يَسُوقها سَوْقًا وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، وسَوَّاق يَسُوق بهن أي: حادٍ يحدو الإبل فهو يَسُوقهن بحدائه، وانْساقَت وتَساوقت الإبل تَساوقًا إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوقة، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا، وساق إليها الصَّداق والمهر سِياقًا وأساقه(١).

والسياق المهر، قيل للمهر: سَوْق؛ لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرًا؛ لأنها كانت الغالب على أموالهم، وضع السَّوق موضع المهر وإن لم يكن إبلاً وغنمًا(٢).

وذهب ابن فارس إلى أن: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدود الشيء، يقال: ساقه يسُوقه سَوقًا، والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ"(٣).

ثم انتقلت تلك الدلالة الحسية إلى معنى مجازي أشار إليه الزمخشري: "وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"(٤).

ويرى المثنى أن السياق في اللغة: يدل على تتابع منتظم في الحركة لبلوغ غاية

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، "لسان العرب". (ط٤، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥م): (سوق)

(٢) المرجع السابق، (سوق).

(٣) الرازي، أحمد فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق إبراهيم شمس الدين. (ط٢، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م): (سوق).

(٤) الزمخشري، جارالله فخر، "أساس البلاغة". (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م): ٤٢٢.

محددة دون أن يكون هناك انقطاع أو انفصال[١].

وبذلك القول: إن السَّياق بمعناه اللغوي يرتبط بجانبين: الأول جانب مادي مشتق من السوق والتتابع، أخذًا من معانيها الحسية كسوق الإبل والمهر، والجانب المعنوي يرتبط بتتابع الكلام وتساوقه وتقاوده.

السَّياق في الاصطلاح:

ورد لفظ السَّياق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ مختلفة، إلا أنه لم يُذكر له تعريف واضح، ولم يُعتدَّ به كمصطلح عند كل من: اللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين، وإنما كل ما ذكر كان حديثًا عن أهمية السَّياق وأثره في ترجيح المعاني وفهم النصوص؛ لذا لم يوضع له تعريف محدد، ولم يذكر له في كتب الاصطلاح مفهوم[٢].

ثم وقف أحد الباحثين المحدثين عند مفهوم السياق وعرفه بقوله: "ويمكن تعريف السّياق عمومًا بأنه: تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، ويمكن تعريف دلالة السّياق بأنها: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده، ويمكن تعريف دلالة السّياق في التفسير بأنها: بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له"[٣].

ويناقش الدكتور عبد الفتاح البركاوي، مفهوم السّياق ويخلص إلى أن: "مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كل من: المقام، والحال،

(١) ينظر: محمود، المثنى عبد الفتاح، "نظرية السَّياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية". (ط١، عمان: دار وائل، ٢٠٠٨م): ١٤.

(٢) ينظر: الجرجاني، "التعريفات". الكفوي، "الكليات". ابن المناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف". مطلوب، أحمد "معجم المصطلحات البلاغية". طبانة، بدوي "معجم البلاغة العربية".

(٣) القاسم، عبد الحكيم عبد الله، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (رسالة ماجستير: كلية أصول الدين، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية): ٩٣.

والموقف، وأن مفهوم السياق يتسع أيضًا؛ ليشمل ما يُعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بسياق النّص Verbal Context، وسياق الموقف، أو المقام الخارجي وهو وما يعرف بـ Context of situation أي أن هذا السياق كما فهمه العرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال والمقام، ويمكن تقسيمه تبعًا لذلك إلى:

١- السياق اللغوي وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص.

٢- السياق الخارجي وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص"(١).

وبذلك يمكن القول: بأن مصطلح السياق كانت له جذور عند العلماء العرب، فهو مرادف وموافق لما يعرف بالمقام، أو الحال، أو الموقف، وما عُرف عند البلاغيين بمقتضى الحال.

وهناك العديد من المصطلحات التي تتداخل مع السّياق، فتعدُّ مرادفة له، بل إن كثيرًا من المفسرين يطلقونها ويقصدون بها السياق متجاوزين في استخدامها ومنها مصطلح النظم.

وكذلك، فإننا نجد أن المفسرين يفرقون بين السياق والنظم ويُميّزون بينهما، ومن ذلك أن شيخ المفسرين الإمام الطبري،

يعطف السياق على النظم مفرقًا بينهما بقوله: "وأشدها اتساقًا على نظم الكلام وسياقه"(٢).

وكذلك أبو السعود، ذكر في تفسيره مصطلحي النظم والسياق بقوله: "ويأباه

(١) البركاوي، عبد الفتاح، "دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث". (ط١، القاهرة: دار المنار، ١٤١١هـ): ٣١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م)، ١: ٤٧٩.

سباق النظم الكريم وسياقه"[١]، وفي هذا دلالة على اختلافهما لديه.

ومثلهما الإمام الألوسي، في تفسيره فقال: "وسياق النظم الكريم وسباقه ظاهر"[٢]، وبذلك يتضح أن المراد من السياق غير المراد بالنظم.

وقد فرق المثنى، بينهما بقوله: إن النظم هو الذي يربط المعنى باللفظ ويجعل اللفظ في تناسب مع المعنى، أما السياق فإنه يختلف عن النظم، إذ إنه يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة ويقول: "السياق هو علاقة المعنى بالمعنى، والنظم هو علاقة اللفظ بالمعنى"[٣].

ثانيًا: أنواع السّياق:

الحقيقة أن هناك قدرًا من التداخل بين أنواع السياق، فمنها ما يرتبط بالنص، ومنها ما يرتبط بظروف خارج النص، فمن أنواع السياق[٤]:

١– السياق اللغوي الداخلي: وهو السياق اللغوي أو سياق النص (Verbal Context)، وهو المحدود بحدود النص لا يتجاوزه، ويبدأ ببنية الكلمة المفردة وتركيب الجملة وعلاقات الجمل، ويندرج فيه البحث في علاقات الحروف والأصوات في الكلمة، وفيه تكون الكلمة سياق الحرف والصوت، والجملة سياق الكلمة، وينتهي بالنص بوصفه سياقًا للجملة.

(١) أبو السعود، محمد بن محمد، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٢٨م)، ٤: ٣٧٣.

(٢) الألوسي، محمود، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ١١: ٣٧٤.

(٣) محمود، مرجع سابق، ١٩.

(٤) ينظر: بلبع، عيد، "السياق وتوجيه دلالة النص". (ط١، مصر: بلنسية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م): ١٣٠.

ومنه **السياق اللغوي العام**: (General Context) وهو: المتعلق بالنصوص التي ينبثق النص عنها، أو ينبثق فيها، أو يشترك معها بنسب تزيد أو تقل، فنصوص المتحدث سياق النص الواحد عنده، والنصوص المشتركة في الظواهر والأغراض سياق نصوص المتحدث، فالشعر العربي سياق للقرآن الكريم بما يحمل من مسوغات الفهم، كما أن الحديث النبوي سياق للقرآن الكريم بما يحمل من تفسير وتفصيل، والقرآن الكريم سياق للحديث النبوي، والأحاديث سياق للحديث الواحد وهكذا.

وبذلك، يمكن القول بأن الوقوف عند السياق الداخلي، ودراسة سياق النص له دور في الوقوف على الدلالة التي لا يمكن الوصول لها بمعزل عن سياق النص.

٢- السياق الخارجي: هو الذي يغني عن السياق من العناصر غير اللغوية، فهو المتعلق بمجموعة من الظروف والملابسات والعناصر الخارجية غير اللغوية (Non Linguistic Context) تلك التي عُرفت في التراث العربي بالحال والمقام والموقف إضافةً إلى المحددات الخاصة بالمرسل والمستقبل، وقد أطلق عليها بعض اللغويين السياق العاطفي.

ومنه **سياق التلقي**: وهو المتعلق بثقافة المتلقي، وموقفه الفكري والعقائدي، **ومذهبه** السياسي، ويرى بعض الباحثين أنه ينبغي أن يستقل بذاته عن أنواع السياق الأخرى؛ لأن بين النوعين ظروفًا لغوية وغير لغوية، ثقافية واجتماعية، وعاطفية، وانفعالية، مقامية، وحالية، ومن ثمّ فهو يعد نوعًا قائما بذاته.

ثالثًا: السياق القرآني:

يذكر المثنى تعريفًا **للسياق القرآني** بقوله: هو: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[(١)]. فالمقصود بذلك أن السياق القرآني هو: تتابع المعاني الفرعية لخدمة المعنى

(١) محمود، مرجع سابق، ١٥.

الأصلي الوارد في السورة، وسير هذه المعاني بانتظام مقصودًا من المتكلم، باعتبار أن اللفظ القرآني هو الحامل للمعاني وبه تظهر صورتها، فالغاية الأصيلة للسياق القرآني هي إعطاء معنى تام يؤدي الغرض الذي لأجله أنزل القرآن، فيكون لهذه المعاني المتتابعة دور في إبرازه وتوضيحه من غير انقطاع لهذه المعاني داخل الآيات أو الفصل بينها [١].

وهناك نوعان للسياق القرآني [٢]:

الأول: السياق من حيث الخصوص والعموم:

للسياق القرآني عدة أنواع من حيث العموم والخصوص، فهناك **السياق العام "سياق السور"**، وهو الذي يكون من بداية السورة حتى نهايتها إذ إنه يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة.

والسياق الخاص "سياق المقطع" يأخذ سياق المقطع دورًا مهمًا في إبراز تشخيص الموضوع القرآني، وبيان وجه المناسبة بين الآيات، ومعرفة المعاني التي اشتمل عليها المقطع في السورة، فهو يشكل محورًا رئيسيًا من محاور سياق السورة.

ثم السياق الأخص "سياق الآية"، وهو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بسياق المقطع، حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع، وتتحد مباني الآية حول معاني مقطعها، ويشكل المقطع عضوًا أساسيًا في جسم السورة، حيث تدور جميع المقاطع حول فلك السورة.

الثاني: السياق من حيث الترجيح الاجتهادي:

ذكر بعض الباحثين أن السياق القرآني نوعان هما: السباق واللحاق، وبالنظر في هذين النوعين يتضح أنهما لا يستقلان بأنفسهما، وإنما يظهر أحدهما في الترجيح الدلالي بمعنى أن السباق في سياق ما يرجح معنى على آخر، واللحاق في سياق آخر

(١) ينظر: محمود، مرجع سابق، ١٦.

(٢) المرجع السابق، ٧٧.

يرجح معنى على معنى، وقد يجتمعان ويرجحان معنى على آخر، ففي هذا النوع يبحث السياق في خاصية الترجيح، إذ المفسر يُرجِّح بالسباق، أو باللحاق، أو بهما معًا.

ونخلص من ذلك: أن معاني القرآني جاءت مترابطة متماسكة، فالمعنى المبدوء به موضح ومفسر لما بعده والمعنى المختوم به مبين دال على ما سبق، لذا، فالسياق القرآني جاء وفق نظام دقيق محكم معجز تحدى الله به الإنس والجن.

إن تصريف القول في القرآن الكريم أمر يستدعي الوقوف عنده، لأنه يجسد إحساسًا يتوقف على ما يشعر به وعلى قوة التأثير في نفسيته.

لقد تجلى جمال الخطاب القرآني في كافة الأمور، منها في المحسوسات التي نراها، ونلمسها، وندركها بحواسنا، وكذلك من غير المحسوسات، فجاء مخاطبًا العقل البشري، ولا غرابة أن يكون القرآن معجزة إلهية حظيت فيها مراعاة المقام في سياق آياته المختلفة، بسماته الكلامية وعلاماته الإعجازية، فخاطب القرآن الناس بحسب مقاماتهم مراعيًا أحوالهم مقسمًا خطابه لهم على طبقات فمالت له الأنفس وهذه تعدُّ سمة إعجازية له.

المبحث الأول: جمالية الأصوات المرتفعة بين التفظيع الذاتي وشدة الأثر:

تنوعت دلالات الصوت وطبقاته في القرآن الكريم، ومنها دلالات الأصوات المرتفعة ومالها من تأثير في النفوس يرتبط بخصوصية السياق تلك الخصوصية التي تفرد بها في القرآن الكريم ويتضح ذلك بتأمل تلك اللفظة ودقتها في سياقها.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[الأعراف:٧٨].

وردت الآية في سياق عذاب قوم ثمود بعد إصرارهم على تكذيب نبيهم صالح – عليه السلام – وعقرهم للناقة التي نهاهم عن مسها فأخذتهم الرجفة وأهلكتهم.

جاءت دلالة الصوت في هذا السياق باسم الأثر الذي تتركه هذه الطبقة من الصوت، وقيل الرجفة: كانت صوتًا شديدًا خلع قلوبهم، وهي الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، والرجفة: هي الزلزلة يقال: رجف الشيء رجفًا، وأصله حركة مع

الصوت، ولم يبيّن سبب رجفة الأرض بهم، فالرجفة اسم للحالة الحاصلة[١]، وعلى ذلك، فالرجفة فيها شدة عظيمة في الصوت مما يؤدي إلى الحركة الشديدة نتيجة الخوف والرعب من هذا الصوت العظيم.

والرجفة: من الرَّجفِ الاضْطراب الشديدِ، يقال: رَجَفتِ الأرضُ والبحرُ، وبحرٌ رجَّاف، والإرجافُ إيقاع الرَّجفةِ إما بالفعل وإما بالقوْل، ويقال: الأرَاجيفُ؛ مَلاقيحُ الفتن[٢].

وقيل: إن الرجفة مترتبة على الصيحة؛ لأنهم لما صيح بهم رجفت قلوبهم فهلكوا، حيث جمعت بين الصوت والحركة، فالتعبير بلفظ الرجفة لم يتناول إلا ما كان عذابًا بها، فهو عذاب مقيد بصفة، وناسب خصوص الرجفة إفراد الدار بعدها مناسبة تركيب النظم.

وجاء التعبير القرآني بالرجفة دون غيرها كالزلزلة؛ لأن الرجفة هي الزلزلة الشديدة العظيمة التي ترتجف منها القلوب فتهلك، وقيل هي الصيحة من السماء والهزة من الأرض، أما الزلزلة فهي الهزة الخفيفة التي قد لا يقع لها أثر[٣]، وبذلك يتضح دقة النظم القرآني في استعمال هذه الدلالة دون غيرها.

في حين أنه عبرّ عن الصوت في السياق نفسه في عذاب قوم ثمود، ولكن بلفظ الصيحة بقوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[هود:٦٧]،

(١) ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٥م)؛ ينظر: الشوكاني، محمد علي، "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)؛ ينظر: الطبري، مرجع سابق، ٦: ٢٢٢

(٢) الأصفهاني، الراغب، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق محمد خليل. (ط٤، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥م): ١٩٦.

(٣) ينظر: العسكري، أبو هلال، "الفروق اللغوية". تحقيق محمد باسل. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م): ٣٧٧.

وصيح: صاحَ صيحةً شديدة، وصاح به، وصَيّح به، وصايحه: ناداه.

والصيحة: هي الصوت الشديد المرتفع، يقال: صاح فلان إذا رفع صوته بقوة، وأصل ذلك تشقيق الصوت، من قولهم: انْصاح الخَشَبُ أو الثوب إذا انشق فَسُمع منه صوت(١).

وذكر البقاعي أن في الرجفة جمعا بين الصيحة والزلزلة في مكان واحد، فكانت أمكن وأعظم نكالًا، وأما الصيحة فتطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها، فهو عذاب مطلق غير مقيد بصفة، وهو من الألفاظ الكلية، فناسب عموم الصيحة جمع الديار بعدها(٢).

ونخلص من ذلك أن الصيحة والرجفة جاءت في السّياق القرآني للدلالة على الصوت المرتفع المميت للإنسان، فطبقتها الصوتية العالية جعلت منها صوتًا قاتلاً للإنسان، فلا يقدر معه على الحركة، بدليل قوله: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ أي: في أماكن سكناهم؛ لأن حركتهم حال سماعهم صوت الرجفة أصبحت معدومة، ولكن الصيحة مداها يكون أوسع من الرجفة بدليل قوله:﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾ أي: في المنطقة التي يسكنون فيها وليس في دارهم، فهناك احتمالية لتحمُّل صوت الصيحة بعض الوقت أما الرجفة فلا وقت لتحمّلها، فكلاهما من دلالات الصوت المميتة التي وردت في سياق العذاب.

ومما يلحظ أن اللفظتين **"الرجفة والصيحة"** في هذين الموضعين، بل وفي جميع مواضع وردهما في القرآن الكريم جاءت معرفة بـ"أل"؛ للدلالة على الكمال في صفة كل منهما، وشدة الصوت، وقوته وفظاعته ...، وهذا يتلاقى مع شدة العذاب الذي نزل بهؤلاء المكذبين.

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢٧٦؛ ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ٤: ٣١٢.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي): ٢١٠.

ومن دلالات الصوت المرتفع التي وردت في سياق العذاب صوت الصرصر، في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فُصِّلَت:١٦]

. صَرْصَرًا: قيل: رياح باردة شديدة الصوت لها صوت مزعج، وهي من الصِرّ: وهو البرد الذي يصِرُّ أي يجمع ويقبض ومن الصَّرَّة: الصيحة المزعجة(١).

وعبّر السياق القرآني بهذه اللفظة دون غيرها؛ لأن الصرصر هي ريح شديدة البرد والصوت والعصوف حتى كانت تجمد البدن ببردها، فتكون كأنها تصره – أي تجمعه – في موضع واحد، فتمنعه التصرف بقوته، وتقطع القلب بصوتها(٢)، فناسبت دلالة هذا الصوت وطبقته سياق العذاب والهوان والذل الذي وقع عليهم لجحودهم وكفرهم، وكان لها وقع على النفس وأبلغ في التعبير عن المعنى المراد.

وتكررت الدلالة نفسها في سياق عذاب قوم عاد في سورة القمر بقوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[القمر:١٩]، وكذلك في سورة الحاقة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦]، وكان لكل خطاب قراني سياقه المناسب للمقام، ففي سورة الحاقة زاد في وصف الريح بقوله: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ فهي أشدُّ مما سبقها، فكانت عاتية تميزها أبلغ وأبلغ؛ وذلك لاستمرارها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة كما في الآية التي تليها بقوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧]، فهذه الأيام كفيلة بالتدمير

(١) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ١٠: ٣٥؛ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢٨٢؛ ينظر: أبو السعود، مرجع سابق، ٥: ٤٤٠.

(٢) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٢١٥.

والعذاب، وفي هذا السياق زاد في النخل المقتلع فجاء بصيغة الجمع ﴿نَخْلٍ﴾.

ولما زادت الريح عتوًا وأمدًا ذكر أنها استأصلتهم كُلَّهم فلم تُبقِ منهم أحدًا بقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾فجمع النخل الكثير المدَّمر مع الريح المتَّصفة بزيادة التدمير ﴿رِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ فجاء التعبير القرآني مناسبًا لسياق الآيات.

ثم جاء التعبير القرآني بذكر مجرد لهذه الأيام دون تحديد لعددها بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فُصِّلَت:١٦]، وفي سياق هذه السورة لما تقدم في الآيات السابقة استكبارهم وادعاؤهم أنهم أشد الناس قوة، اقتضى هذا المقام تحقيرهم في إهلاكهم فجاء التعبير القرآني بالأيام دون الليالي، بقوله: ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ إشارة إلى الأيام الثمانية المصرَّح بها في السياق السابق.

أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾في سورة القمر كان المقصود في السِّياق تقريب قيام الساعة، ووصف سيرهم إلى الداعي بالإسراع جاء التعبير القرآني عن عذابهم بأقل ما يمكن فعبّر بـ (اليوم) المراد به الجنس الشامل للقليل والكثير، وقد يعبّر به عن مقدار من الزمان يتم فيه أمر ظاهر سواءٌ أكان لحظةً أو أيامًا أو شهورًا أو أكثر من ذلك أو أقل فـ﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾ هو اليوم الذي بدأ فيه العذاب وكان مقدمة لثمانية أيام مهلكة من العذاب؛ لذا جاء الخطاب القرآني بقوله: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾؛ ليؤكد استمرار العذاب والنحس والدمار عليهم إلى ثمانية أيام(١). ولذلك ذكر الألوسي المقصود باليوم في آية القمر بقوله: "والمراد باليوم مطلق الزمان لقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا

(١) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق؛ البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٠؛ الرازي، أبو عبد الله محمد، "مفاتيح الغيب". (ط٣، مصر: المكتبة التوقيفية، ١٤٢٠هـ)، ١٥: ٢٥؛

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾، وقوله سبحانه: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[١].

ونخلص من ذلك أن دلالة صوت الريح الصرصر في جميع السياقات السابقة وردت في سياق عذاب قوم عاد، وهذه الدلالة الصوتية وطبقتها كان لها دورها العميق وأثرها على النفس في التعذيب والتدمير الداخلي قبل العذاب الجسدي الخارجي، كما نلحظ أن كل سياق يتوجه لخدمة المعنى العام والمقام في السورة، فكان لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص وهذا يعدُّ من وجوه إعجاز القرآن.

ومن دلالات الصوت المرتفع المنكر صوت الحمير في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]، وصوت الحمير، قيل: أوله زفير، وهو صوت قوي، وآخره شهيق، وهما صوتا أهل النار، وقيل: هو الصوت المنكر.

وفي الآية دليل على استنكار وقبح رفع الصوت في المخاطبة، والملاحاة بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية، وبذلك يكون صوت الحمير من دلالات الصوت العالي، وهي طبقة مرتفعة من الصوت قد تكون أعلى من طبقة الصوت العادي؛ لذلك أمر الخطاب القرآني بالغضّ من الصوت وخفض طبقته، وجاء التعبير القرآني بهذه الدلالة للصوت في سياق التحذير والمبالغة في الذم والتهجين من رفع الصوت، وصوره بأقبح صورة إذ شبه الصوت المرتفع للإنسان بصوت الحمير؛ وذلك بسبب طبقته العالية[٢].

ومن دلالات الصوت المرتفعة التي جاء بها التعبير القرآني الشهيق والزفير، ومن

(١) الألوسي، مرجع سابق، ٢٧: ١٢٩.

(٢) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن". (القاهر: المكتبة التوقيفية، د. ت)، ٢: ٦٥.

ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٞ ﴾[هود:١٠٦]، ونلحظ أن هذه الدلالة جاءت في سياق العذاب، وهو الصوت الصادر من الإنسان المعذّب في النار، والشهيق والزفير من أصوات المكروبين والمحزونين، فالزفير: هو تردد النَّفَس حتى تَنْتَفِخ الضلوع منه، وزَفَر يزْفِر زفيرًا، وهو اغتراف النَّفس للشدَّة، وقيل: هو صوت حاد، أما الشهيق: فهو طُولُ الزفير، وهو ردُّ النَّفَس، والزفَّيرُ مدُّه، فالزَّفِير: أوّلُ صوت الحمار، والشهِيق: آخره؛ لأن الزفير إدخال النَّفس، والشهيق آخره[1]، وقيل هو صوت ثقيل، وهي من أشنع الأصوات وأقبحها.

وبعد أن ذكر سياق الآيات السابقة بعض قصص المرسلين، وما حلَّ بأممهم من النكال والدمار، ذكر هنا العبرة من سرد هذه القصص، وهي أن تكون شاهدًا على تعجيل العقوبة للمكذبين والانتقام العاجل منهم وبرهانًا على تأييد الله ونصرته لأوليائه وأنبيائه، وقد ذكرت الآيات يوم القيامة وانقسام الناس فيه إلى فريقين: سعداء، وأشقياء ثم بدأ بتصوير أحوالهم؛ ولأن المقام مقام تهديد ووعيد، بدأ بالأشقياء، وشبه أصواتهم بأصوات الحمير[2].

وخص – سبحانه – من بين أحوالهم الأليمة حالة الزفير والشهيق؛ تنفيرًا لهم من المعاصي ومن كل ما من شأنه أن يوصلهم إلى النار، وتبشيعًا لتلك الحالة التي يصلون إليها في النار من سوء المنقلب، وتعاسة الحال.

وفي ذكر الخطاب القرآني هذه الدلالة الصوتية في سياق العذاب في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٠] ونلحظ أنهم

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢١٨، ٢٧٣؛ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق محمد النجار. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٣: ١٣١، ٣٥٨.

(٢) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٣.

السياق القرآني في هذا المقام ذكر الزفير دون الشهيق؛ وذلك لأن العذاب في آيات الأنبياء أشد من عدة أوجه: ففي هذا المقام كان الحديث عن الكافرين وما يعبدون من دون الله بقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، وهذا شرك بالله ومن كبائر الذنوب، أما السياق في سورة هود فكان الحديث فيه عن الأشقياء على وجه العموم، وأهو أعم من سياق الآية في سورة الأنبياء، فإن من الأشقياء من لم يعبد الأصنام، وقد يكون من أهل الكتاب، فذكر في سياق الأنبياء أشقى الأشقياء، وهم الذين أشركوا بالله وعبدوا الأصنام، فالجمع بينهم مع آلهتهم في العذاب أشدُّ تبكيتًا وإهانة لهم، فاقتضى ذلك زيادة تعذيبهم، كما ذكر الخطاب القرآني أنهم حصب جهنم أي: أسفل النار، فالحصب هو القاع والنار تُسعَّر بهم، فذكر في هذا السياق الزفير ولم يذكر الشهيق؛ لأن الإنسان يحتاج الشهيق ليزفر، وإن لم يستطع أن يأخذ الشهيق ضاق صدره، فدلّ ذلك على ضيق صدورهم، فهم يحاولون الشهيق، ولا يتمكنون منه، وهذا من أشد العذاب، إضافة إلى ذلك أنهم لا يسمعون وهذا عذابٌ آخر(١).

فجاءت كل سمة تعبيرية ودلالة صوتية تحمل المعنى الأنسب والأليق في سياقها، فكانت هي الأدق في المقام دون غيرها.

وجاء كذلك صوت الشهيق والزفير في الخطاب القرآني، ونسب للنار في سياق العذاب أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك:٧]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢]، أي: سمعوا لجهنم نفسها صوتًا عاليًا قبيحًا كصوت الحمار؛ لشدة غليانها وتوقدها، وذكر الخطاب القرآني

(١) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، "على طريق التفسير البياني". (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٧م)، ٣: ٣٤٤.

في سورة الملك قبح المصير الذي أُعد للكافرين، وهو ما يسمعونه فيها من أصوات عالية مؤلمة مخيفة، وعليه فالسياق يرجّح أن الشهيق إنما هو لجهنم، لا لأهلها من المشركين، وممن طُرح فيها قبلهم، أي: سمعوا لجهنم صوتًا كصوت الحمير، وهو حسيسها المنكر الفظيع، على سبيل الاستعارة التصريحية، كما أفاد أبو السعود[1]، ولما كان الشهيق، الذي هو اجتلاب الهواء إلى الصدر بشدة لقوة الاحتياج إلى التنفس، وهو يقتضي تردد الأنفاس في الصدر، أطلق على صوت التهاب نار جهنّم الشهيق تفظيعًا له[2]، فناسب ذكره في هذ المقام ليناسب نظم السورة ومقاصدها من طلاقة قدرة الله وسعة علمه في معرفة بواطن الأشياء وظواهرها ولمناسبة قوله:﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ بخلاف السّياق في سورة الفرقان قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ فأثبت التعبير القرآني هنا الزفير الذي هو في الأصل: إخراج الأنفاس بدفعٍ وشدة بسبب ضغط التنفس؛ ليناسب سياقها في تعداد النعم الظاهرة[3].

ونخلص من السياقين السابقين أن لجهنم شهيقًا وزفيرًا، كان له دوره في التأثير النفسي على الكافرين قبل طرحهم فيها وتعذيبهم بها، فناسبت هذه الدلالة الصوتية وطبقتها المرتفعة سياق العذاب الذي وردت فيه، وجاء التعبير القرآني بكل دلالة صوتية في سياقها المناسب للمقام، وقد وردت هاتان الدلالتان الصوتيتان في سورتين افتتحت كلاهما بـ (تبارك).

ومن الدلالات الصوتية التي جاء بها التعبير القرآني (الجأر) وقد وردت في سياق

(١) أبو السعود، مرجع سابق، ٥: ١٢٠.

(٢) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م)، ٢: ١١٥؛ الألوسي، مرجع سابق، ٤: ٣٤٢

(٣) ينظر: الأكرت، أحمد، "من لطائف النظم القرآني في الكشف عن المعاني في "سورة الملك" دراسة تفسيرية". المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم بطنطا العدد الخامس، (٢٠١٩م): ٨٣٤.

العذاب في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٤] والجأرُ في اللغة: رفع الصوت، وهو الصراخ بصوت عالٍ، ومنه: جَأرَ يجأر جُؤارًا: رفع صوته مع تضرع واستغاثة(١)، أي: رفعوا أصواتهم مع التضرع والاستغاثة مما حلّ بهم من عذابنا، فهم يصرخون ويتوجعون.

وجاء التعبير القرآني بالجأر دون غيره كالصياح في هذا المقام؛ لأن الصياح هو رفع الصوت بلا معنى له(٢)، أما الجأر هو رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ ذلاً وانكسارًا وجزعًا(٣)، فكان التعبير بالجأر أدق وأبلغ في السياق لما فيه من تهويل شديد لهذا اليوم الذي لا ينفع فيه التضرع والاستغاثة، فهم لم يرفعوا أصواتهم في النار لمجرد الصياح فقط، وإنما قصدوا من رفع الصوت الاستغاثة وطلب النصرة من أتباعهم ... وهذا لا يؤديه التعبير بالصياح وإنما يؤديه ما جاء عليه النظم المعجز ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾، ولذلك جاء الرد عليهم من قبل الله تعالى في الآية التالية لها في قوله: ﴿ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٥].

ومن دلالات الصوت المرتفعة التي جاء بها التعبير القرآني الاستصراخ بقوله تعالى(٤): ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ [القصص: ١٨] ، الصُّراخ: الصوت الشديد؛ صرخ يصرُخُ صُراخًا، الصريخ: المستغيث، والمصرخ: المغيث، والاستصراخ: الاستغاثة، والاستصراخ: الإغاثة، ويستصرخه: يستغيث به، مأخوذ من الصراخ وهو رفع الصوت؛ لأن من عادة المستغيث

(١) ابن منظور، مرجع سابق، (جأر).
(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٥٠.
(٣) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٣.
(٤) ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ٤١٧.

بغيره أن يرفع صوته طالبا النجدة والعون.

وجاء التعبير القرآني بالاستصراخ دون الصُّراخ وغيره؛ لأن الصراخ صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه للإغاثة، أما الاستصراخ هو الاستغاثة والمبالغة في الصراخ، فهو يستغيث بموسى للمرة الثانية، فهي أبلغ من الصراخ؛ لأنها تدل على أن صراخهم منكر خارج عن الحد المعتاد[1]، فجاءت هذه الكلمة في مبناها أوفى للمعنى في تعبيرها عن حال الرجل الذي طلب المساعدة؛ لأن كل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى.

ونخلص من ذلك أن هذه الدلالة الصوتية بطبقتها المرتفعة كانت أدق في السياق؛ فلو عبَّر السياق القرآني بـ (يستنجده أو يستغيثه) لم تؤدِ المعنى الذي جاء به صوت الاستصراخ؛ لأن الاستنجاد هو طلب النجدة، ولم يكن ذلك حال الرجل، والاستغاثة هي طلب الغوث، وهو دعاء من قريب لبعيد فلم يكن ذلك واقع حاله، لأنهما جميعًا في مكان واحد[2]، أما لفظ (يستصرخه) في مبناها وصياغتها القوية أوفى بالمراد، وفي معناها نتخيل ذلك الرجل يسترعي الانتباه بأن يأتي له موسى؛ لذلك هي اللفظ المعبّر كل التعبير عن حال ذلك الرجل.

ومن الدلالات الصوتية التي جاء بها السياق القرآني في سياق العذاب يصطرخون في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧]، فالاصطراخ: افتعال من الصراخ، وهو الصياح الشديد المصحوب بالتعب

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدين، "الإتقان في علوم القرآن". تعليق مصطفى البغا. (ط١، بيروت: دار كثير، ١٩٨٧م)، ٢: ٩١٢.

(٢) ينظر: الرازي، مرجع سابق، ٨: ٢٢٣، الأندلسي، أبو حيان محمد، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي محمد جميل. (ط١، بيروت: دار الفكر، د.ت)؛ القرطبي، مرجع سابق، ١٣: ٢١٢.

والمشقة، فهم يصيحون من شدة ما نابهم، ويستغيثون ويضجون بالدعاء رافعين أصواتهم(١).

وجاء التعبير القرآني بـ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾؛ لأن الاصطراخ هو صوت غليظ محشرج مختلط الأصداء، متناوح من شتى الأرجاء، إنه صوت المنبوذين، وجرس اللفظ نفسه يوحي بهذه المعاني جميعًا(٢)، فالزيادة في الألفاظ توحي بالزيادة في المعنى، فالطاء يُضيف معنى الشِّدة في استغاثة الكافرين، إنه صراخٌ قويّ نابعٌ من نفوس مُحَطَّمة يائسة، فالسياق في الآية يقتضي هذه الزيادة التي تعبر عن المعنى المراد، وكان لهذا الدلالة الصوتية وطبقتها المرتفعة تأثيرها النفسي على السامع في الردع والتنفير، حيث بيّنت لنا هذا الصوت في ظِّل الإهمال له، فلا يجد من يهتمُّ به أو يلبّيه، ونلمح من وراء ذلك صورة العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون.

وكذلك من الدلالات الصوتية التي عبّر بها السياق القرآني الجهر في قوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨]، الجهر: يقال لظُهُور الشيء بإفراط حاسة البَصرِ أو حاسةِ الَّسمْعِ، وهو إعلان الشّي وكشفُه وعُلُوّه، يقال: جَهَرَ الشيءُ إذا ظهر، وأجْهَرْتُه أنا، وقد جَهَرَ بكلامه وقراءته: رفع بهما صوته، وَجَهُرَ صوتُه جَهَارةٌ، وهو جهير الصوت(٣).

ومعنى الآية أن الله تعالى لا يحب من عباده أن يجهروا فيما بينهم بذكر العيوب والسيئات لما في ذلك من المفاسد الكثيرة التي أهمها: أنه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهر بالسوء ومن ينسب إليه هذا السوء، وأن ذلك يؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ضارا،

(١) ينظر: أبو السعود، مرجع سابق، ٥: ٢٨٤.

(٢) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٤: ٣٢٤.

(٣) ينظر: ابن فارس، مرجع سابق، ١: ٢٥٠، (جهر)؛ الأصفهاني، مرجع سابق، ص١٠٨؛ الزمخشري، "أساس البلاغة": ١٤٦.

فسماع السوء كعمل السوء يؤثر في نفس السامع، وكثير من الناس يجهل مبلغ تأثير الكلام في القلوب، فلا ينزهون ألسنتهم عن السوء من القول ولا أسماعهم عن الإصغاء إليه(١).

وجاء التعبير القرآني بالجهر دون غيره؛ لأن الجهر دلَّ على عموم الإظهار والمبالغة فيه، وهو يقتضي رفع الصوت به، لذلك كان أعم في معناه من الإظهار والكشف، وأبلغ في التعبير عن المعنى المراد في السياق(٢).

ونخلص من ذلك أن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول ولا الإسرار به، لكنه خصَّ الجهر هنا بالذكر لمناسبة بيان مفاسد الكفار والمنافقين في هذا السياق، والجهر بالسوء أشد ضررا من الإسرار به؛ لأن ضرره وفساده يتفشى بين عامة الناس وسائر الطبقات.

وبذلك، يتضح لنا بلاغة الخطاب القرآني في تعبيره بهذه الدلالات الصوتية بطبقتها المرتفعة وفقًا للمقام، فمنها ما جاء في سياق العذاب المؤدي للهلاك لشدته وقوته، ومنها ما جاء في سياق الذم، والتنفير، والتهجين لما لهذه الأصوات المرتفعة من تأثيرها في النفوس، ووقعها على السامع.

(١) ينظر: المراغي، أحمد مصطفى، "تفسير المراغي". (ط١، مصر: البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٦م): ٢١٠.

(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٣٢٠.

المبحث الثاني: جمالية الأصوات المتوسطة بين الاتزان النفسي والفكر العقلي

يتناول هذا المبحث دلالات الصوت وطبقته المتوسطة في القرآن الكريم، وهو المنهج الذي رسمه القرآن وحثَّ عليه الدِّين الإسلامي، وأصبح دستورًا وهو التوسط، وخفض الصوت في الكلام والخطاب مع العامة؛ لأن ذلك من آداب الحديث، ويزيد الثقة بالنفس.

قولة تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩].

يأمر الخطاب القرآني في هذه الآية بخفض الصوت بقوله: (وَاغْضُضْ) أي: أنقص منه واخفضه، ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع، والغَضُّ: نقص قوة استعمال الشيء. فغض الصوت: جعله دون الجهر(١).

وعبّر السياق القرآني بـ ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ ولم يعبر بـ (اغضض صوتك)، لأن المراد هنا هو الاعتدال في الصوت، فلا يخفضه بحيث يكون أقرب إلى الهمس فلا يسمع، ولا يكون أعلى من ذلك فيزعجهم، وإنما يكون بقدر ما يحتاج إليه السامعون، وفي ذلك إشارة إلى التوسط والاعتدال(٢).

ونخلص من ذلك أن الكلام مع الناس لا بُدّ أن يكون صوته متوسطًا حتى يُفهم المراد منه، فلا يجوز ارتفاع الصوت في الحديث العادي، لذا جاء الأمر الإلهي بغضَّ الصوت في الحديث مع الآخرين حتى لا تعّم الضوضاء والخصومات، فقد كانت العرب

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٣٦٣.

(٢) نظر: السامرائي، مرجع سابق، ٢: ٤٥١.

تفتخر بالمجاهرة في الصوت فجاء النهي الإلهي عن خُلُق الجاهلية؛ لأن رفع الصوت في غاية البشاعة.

ومن دلالات الصوت المتوسطة التي جاء بها الخطاب القرآني دون الجهر بقوله: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

أمر السّياق الكريم في هذه الآية الكريمة بذكر الله والتضرع إليه، ثمّ حددّ كيفيته بالذكر اللساني والنطق به، فجعله دون الجهر من القول، أي لا يرفعه جاهرًا، ولا يخفضه خافتًا، وهو الذكر المتوسط بين الجهر والإسرار، ولكن لَا بد من ذكر اللسان؛ لأنه يسد منافذ الشيطان، فحركة اللسان المقصودة تضبط النفس نحو ذكر الله تعالى، والمقصود من ذلك استيعاب أحوال الذكر باللسان، لأن الذكر اللساني يوجب قوة في الذكر القلبي الروحاني(١).

ولما كان السياق يتحدث عن الأمر بالذكر عند نزغ الشيطان، والأمر بالاستماع لأعظم الذكر، علمهم أدب القراءة والذكر ونلحظ أن تحديد الخطاب القرآني لذكر الله بهذه الطبقة الصوتية بقوله: ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ هو أدخل في الاخلاص وأقرب إلى حسن التفكير وهدوء النفس واطمئنانها.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٥: ٤٥؛ الرازي، مرجع سابق، ٨: ١٢٢؛ ابن عاشور، مرجع سابق، ٧: ٧٨.

أي: أقصد طريقًا سريعًا أو صوتًا متوسطًا في صلاتك فلا تجهر بها ويكون صوتًا مرتفعًا ولا تخفضه فلا يسمع، بل أمرًا وسطًا فإن خير الأمور أوسطها(١).

فالجهر: رفع الصوت، وخفت الصوت: إسراره بحيث لا يسمع، وأمرنا بالوسطية والاعتدال وهو المنهج الذي رسمه لنا القرآن الكريم؛ لذلك عبّر عنه السياق الكريم بالسبيل قوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

فهذه الطبقة الصوتية المتوسطة بين الجهر والمخافتة من دلالات الأصوات المتوسطة، وهي السبيل والطريق المتبع في الصلاة والدعاء، لأنها الطبقة المؤثرة التي تلين معها القلوب وتتأثر بها النفوس، فالصوت المرتفع أدعى للنفور والدخول في باب الرياء.

وأرشدنا الخطاب القرآني إلى هذه الطبقة المتوسطة بـ ﴿وَلَا تَجْهَرُوا﴾ في الخطاب مع الآخرين؛ فمن الأدب في الحديث والحوار والخطاب عدم رفع الصوت، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحُجُرات:٢]هنا جاء الأمر الإلهي أراد أن يكون الخطاب مع النبي خطاباً مؤدبا غير مرتفع؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير.

ونلحظ أن التعبير القرآني عرض لنا الدلالات الصوتية المتوسطة عرضًا جميلًا معجزًا، لم يراعِ فيه أحوال المخاطب فحسب، بل ينظر إلى مقام المتكلم معه، فجاءت الدلالات متنوعة ومعبرة عن المعنى؛ لأن هذه الطبقة الصوتية هي السبيل الذي رسمه لنا الخطاب القرآني، وأرشد إليه؛ لتأثيره في النفوس واستمالة القلوب وأدعى إلى الاتزان

(١) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٧: ٨٥.

النفسي في التعامل.

ويلحظ أن الصوت المتوسط جاء في سياق التأدب، سواء كان التأدب في خطاب الله تعالى في الصلاة، أو الدعاء، أو التأدب في خطاب النبي (ﷺ)، أو في خطاب البشر بعضهم بعضا.

والتأدب في الخطاب بالتوسط في الصوت يتلاقى مع كون هذه الأمة أمة وسطا كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣]، أي: وسط في كل شيء، ومنها التوسط في الكلام والخطاب.

المبحث الثالث: جمالية الأصوات المنخفضة بين خوف النفس ورهبة الموقف

يتناول هذا المبحث دلالات الصوت بطبقتها المنخفضة، والتي كثيرًا ما ارتبطت بشدة الموقف والخوف والفزع، فكان لهذه الدلالات المتنوعة وقعها في النفوس.

ومن دلالات الصوت المنخفضة التي جاء بها السياق القرآني (الخفت) في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ [طه:١٠٣]، أي: يخفضون أصواتهم ويهمس بعضهم في أذن بعض، لما امتلأت به قلوبهم من الرعب والذعر.

وخفت يخفت وخافت مخافتة والخَفْتُ: إسرار المنْطِقِ، وخَفَت صوته: انخفض، وخفت الرجل: سكت فلم يتكلم، والخُفات: السكوت[١].

وأشار السيّاق القرآني بقوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ إلى دلالة صوتية منخفضة فهم يتحدثون فيما بينهم بهذه الطبقة المنخفضة؛ لشدة فزعهم وخوفهم.

وجاء السياق الكريم بـ(يتخافتون) دون غيرها كـ(يتناجون) لأن النجوى للكلام الخفي الذي تناجي به من أردت مع رفعه وإخفائه وستره عن غيره[٢]، أما التخافت فلا يقصد به الستر والخفاء وإنما خفض الصوت فيه تبعًا للمقام.

وبذلك يتضح دقة السياق في استخدام هذه الدلالة الصوتية بطبقتها المنخفضة في هذا المقام التي تدلّ على حديث قائم، ولكن بطبقة منخفضة لشدة وهول الموقف وتأثيره في النفوس، فكانت أدق وأبلغ في السياق من غيرها.

ومن الدلات الصوتية المنخفضة التي جاء بها الخطاب القرآني الهمس في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه:١٠٨]، ولما أخبر السياق الكريم بخشوعهم في الحديث والانقياد للدعوة، أخبر

(١) ينظر: الزمخشري، "أساس البلاغة"، ٢٣١؛ الاصفهاني، مرجع سابق، ١٥٨.

(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٧٥.

بخشوع غير ذلك من الأصوات التي جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾، أي ارتخت وخفيت وخفضت؛ لخشوع أهلها، وَسَكَنَتْ هَيْبَةً لِلَّهِ، وَإِجْلَالًا وَخَوْفًا، فَلَا تَسْمَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَوْتًا عَالِيًا، بَلْ لَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا أَيْ: صَوْتًا خَفِيًّا خَافِتًا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، والهمسُ: هو الصوت الخفي، وهمس الأقدام أخفى ما يكونُ من صوتها وقيل أَيْ: إِلَّا صَوْتَ خَفْقِ الْأَقْدَامِ وَنَقْلِهَا إِلَى الْمَحْشَرِ[1]، وَالْهَمْسُ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْخَفَاءِ، فَيَشْمَلُ خَفْضَ الصَّوْتِ وَصَوْتَ الْأَقْدَامِ، أو تردد الأنفاس في الصدور خوفاً وترقُبًا.

وقد يشمل صوت الزفير بحشرجة وتردد وتنُّهد، ولما كانت همسًا لأهل المحشر عامة، فربما تشير إلى أصوات التسبيح من أفواه العارفين، فإن لصوته في حشرهم هيمنة وحضورًا، ولاسيما إذا كان لها طابع السرعة، والتكرار؛ مما يؤدي صوتًا ذائبًا خفيفًا، فتعبير الآية بالهمس لم يكن همس الأقدام فقط، بل حتى همس الأفواه[2].

ونلحظ تدرجًا واضحًا في التعبير القرآني بالدلالات الصوتية، فقد بدأ بأصوات المجرمين المحشورين إلى النار وذلك قوله: ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾، ومن ثم وصف أصوات المؤمنين على الأرجح وذلك قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾، والآن لم تبق أصوات أمام عظمة هذا المشهد سوى أصوات الماشين (المهموسة) التي تثيرها أقدامهم، وهذا التدرج ليس يمنع أن يكون (همسا) دالا على صوت صادر عن الأفواه، فقد تشتمل هذه الدلالة الصوتية على همس الإقدام وهمس الكلام[3].

(١) ينظر: الاصفهاني، مرجع سابق، ٥٢٣؛ البقاعي، مرجع سابق، ٦: ١٢؛ ابن عاشور، مرجع سابق، ٦: ٢٢.

(٢) ينظر: العارضي، محمد جعفر، "الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم". (أطروحة دكتوراه، الشارقة: جامعة القادسية، ٢٠٠٢م)، ٢١٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٢١٨.

ويتضح دقة السياق القرآني في التعبير بهذه الدلالة الصوتية المنخفضة في هذا المقام فالموقف مختلف والهول عظيم تخفت فيه الأصوات من شدة الخوف والفزع، وإسناد الخشوع إلى الأصوات مجاز عقلي، فإن الخشوع لأصحاب الأصوات؛ واستعير هنا لانخفاض الصوت وإسراره، وهذا الخشوع من هول المقام.

ومن دلالات الصوت المنخفضة في القرآن النجوى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المجادلة:٩].

النَّجْوَةُ والنَّجاةُ: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وناجيته، وتناجوا وانتجوا: بينهم تناجٍ ونجوى، والنَّجوى: السر، وقيل: النَّجوى من السر والإخفاء، فهو نجيء فلان، أي صاحب سره، والنجو، والنجوى: ما يسر بين اثنين أو أكثر فقد ناجيته ونجوته: ساررته[(١)].

نهى السّياق الكريم عن النجوى؛ لأن التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهي تثير البغض والتنافر في النفوس ثم وضع ضابطًا لهذه النجوى بأن تكون في الخير والتقوى حديثًا داعيًا إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس حيث الأمن والعون والدعاء.

وقد جاء التعبير القرآني بالنجوى دون غيرها كالسر؛ لأن النجوى كلام خفي تناجي به غيرك، فالنجوى لا تكون إلا بالكلام والصوت، أما السر: فهو إخفاء الشيء في النفس[(٢)]، وأما السر فقد يكون في الكلام وغيره فهو غير مخصوص بالكلام، لذا كانت هذه الدلالة الصوتية أدق في السّياق، وأبلغ في المعنى من غيرها.

(١) ينظر: منظور، مرجع سابق، (نجو)؛ الفيروز آبادي، مرجع سابق، ٢٠:٥؛ الزمخشري، "أساس البلاغة"، ٨٣٣.

(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٧٥.

واستعملها القرآن الكريم فعلا واسما منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، ويضفي (خَلَصُوا) على فعل المناجاة في هذا السياق النفسي المملوء بالخوف، وجهل المصير مبالغة في السرية والإخفاء لأمرهم، فضلًا عن الإشارة إلى الخوف والاضطراب، وتعزيز عامل السرعة في الوصول إلى قرار في الأمر.

ومن الاسم قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

(النجوى) وفي استعمالها في هذا السياق إشارة إلى الحيلة والغدر وتزييف الحق، ووسوسة الشيطان، فالنجوى من الدلالات الصوتية المنخفضة التي اختصت بالكلام والمناجاة مع الغير، وارتبطت هذه الدلالة بطبقتها المنخفضة بالخوف والذعر، وقد نهى عنها الخطاب القرآني لأنها من صفات المنافقين فضلاً عما تتركه في النفوس، ففيها تربية روحية وتهذيب للأخلاق.

ومن الدلات الصوتية المنخفضة التي جاء بها الخطاب القرآني (ركزا) بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

والمعنى أهلكنا هذه الأمم السابقة بالكلية واستأصلناهم، بحيث لا يُرى منهم أحدٌ ولا يسمع منهم حتى هذا الصوتُ الخفيّ.

الركز: الصَّوتُ الخفي، وركزْتُ كذا أي دفنتهُ دَفنًا خفيا، ومنه الركازُ المال المدفون،

وقيل: والرِّكْزُ الصوت الخفي دونَ نطقٍ بحروفٍ ولا فمٍ، وإنما هو صوت الحركات[١].

وذكر بعضهم أن الركز خصَّ بالصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم، والأكثرون على الأول، وخص الصوت الخفي لأنه الأصل الأكثر ولأن الأثر الخفي إذا زال فزوال غيره بطريق الأولى[٢].

وعبّر السياق الكريم في هذا المقام بأضعف دلالة تعبيرية عن الصوت بعد هلاكهم وهي الركز الموحي بالحركة أو الزفير كونه صوتًا خفيًا، وليس كلامًا منطوقًا، فجاءت هذه الدلالة أدق وأبلغ في التعبير عن المعنى في السياق.

ومن دلالات الصوت المنخفضة (حسيسها) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٢].

أي لا يسمعون صوت حركتها، وهو صوتٌ ضعيفٌ كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدًا مما يدلّ على أنهم في غاية الإبعاد عنها بتوفيق الله وطاعته.

والحسيس: صوت يحس به، والحَسِيسُ والحِسُّ: الذي تسمعه مما يمر قريبًا منك، وقيل: الحركة أي لا يسمعون حسها وحركتها[٣].

وجاء التعبير القرآني بـ (حَسِيسَهَا) بدلاً من حسها؛ لأن الحس بمعنى الصوت وغيره أما حسيسها بمعنى حس صوتها، أي: صوت لحركة، وهي دلالة وطبقة صوتية أضعف وأقل من الحس، فكانت في سياقها أبلغ وأدل على المعنى من غيرها.

ونجد أن الخطاب القرآني عبّر عن صوت نار جهنم بدلالة صوتية منخفضه، فارتبطت هذه الطبقة الصوتية المنخفضة بالنار، وما يرتبط بها من مقام نفسي يملؤه والخوف الذعر في ذلك اليوم.

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢٠٨.

(٢) ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ٨: ٥٤.

(٣) ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، (حسس)؛ الأصفهاني، مرجع سابق، (حس).

ويتضح من ذلك تنوع الدلالات الصوتية المنخفضة في الخطاب القرآني، وتدرجها من دلالات الصوت المنخفض، لكنه مسموع مثل: (الهمس، والنجوى، والتخافت بالقول) إلى دلالات الصوت المنخفض جدًا على الأسماع حتى لا تكاد تسمعه ومنها: (الركز، والحسيس)، وارتباط هذه الدلالات المنخفضة بإيحاءاتها المختلفة بمقام الخوف القلق والهلع، فبرزت دقة التعبير القرآني في تنوع هذه الدلالات في سياقاتها المختلفة.

الخاتمة

وبعد دراسة دلالات الصوت في القرآن الكريم خرجت الدراسة بعدة نتائج:

١- تنوع دلالات الصوت في القرآن الكريم بطبقاته المختلفة، ودقة اختيار السياق الكريم لكل دلالة صوتية، دقة تتناسب مع مقامها وسياقها الذي ترد فيه، بحيث تؤثر هذه اللفظة على غيرها مما يقاربها في المعنى لاستدعاء المقام لها، فالقرآن يستخدم دلالة محددة في مواقف معينة منضبطة لا تنفك عنها.

٢- ارتباط الدلالات الصوتية المرتفعة بسياق العذاب والهلاك والذم والتنفير من الأصوات المرتفعة، فكان لهذه الدلالات بطبقتها المرتفعة دورها العميق وأثرها على النفس في التعذيب النفسي الداخلي قبل العذاب الجسدي الخارجي.

٣- أرشد الخطاب القرآني بالدلالات الصوتية المتوسطة إلى المنهج والسبيل الذي يتخذه الإنسان في صلاته ودعائه وخطابه وسائر أمور حياته؛ لأنها هي الطبقة المؤثرة التي تلين معها القلوب وتتأثر بها النفوس.

٤- تنوع دلالات الصوت المنخفضة في الخطاب القرآني، وارتباطها بسياق نفسي مملوء بالخوف والاضطراب لأهوال يوم القيامة، ورهبة هذا المقام.

المصادر والمراجع العربية

أ. **الكتب:**

الأصفهاني، الراغب، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق محمد خليل. (ط٤، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥م).

الألوسي، محمود، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

الأندلسي، أبو حيان محمد، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي محمد جميل. (ط١، بيروت: دار الفكر، د.ت).

البركاوي، عبد الفتاح، "دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث". (ط١، القاهرة: دار المنار، ١٤١١هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

بلبع، عيد، "السياق وتوجيه دلالة النص". (ط١، مصر: بلنسية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).

الرازي، أحمد فارس، "معجم مقاييس اللغة". محقق إبراهيم شمس الدين. (ط٢، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

الرازي، أبو عبد الله محمد، "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الزمخشري، جارالله فخر، "أساس البلاغة". (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م).

السامرائي، فاضل صالح، "على طريق التفسير البياني". (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٧م).

أبو السعود، محمد بن محمد، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط١،

بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٢٨م).
السيوطي، جلال الدين، "الإتقان في علوم القرآن". تعليق مصطفى البغا. (ط١، بيروت: دار كثير، ١٩٨٧م).
الشنقيطي، محمد الأمين، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٥م).
الشوكاني، محمد علي، "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).
الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م).
العارضي، محمد جعفر، "الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم". (أطروحة دكتوراه، الشارقة: جامعة القادسية، ٢٠٠٢م).
ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م).
العسكري، أبو هلال، "الفروق اللغوية". تحقيق محمد باسل. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).
الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق محمد النجار. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
القاسم، عبد الحكيم عبد الله، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية).
القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق أحمد البردوني. (ط٢، القاهر: دار الكتب المصرية، ١٣٤٨هـ).
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
محمود، المثنى عبد الفتاح، "نظرية السَّياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية". (ط١،

عمان: دار وائل، ٢٠٠٨م).

المراغي، أحمد مصطفى، "تفسير المراغي". (ط١، مصر: البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٦م).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، "لسان العرب". (ط٤، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥م).

ب. الدوريات:

الأكرت، أحمد، "من لطائف النظم القرآني في الكشف عن المعاني في "سورة الملك" دراسة تفسيرية". *المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم بطنطا* العدد الخامس، (٢٠١٩م).

Bibliography

A. Books:

al-Aṣfahānī, al-Rāghib, "al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad Khalīl. (4th ed., Beirut: Dār al-Ma'rifah, 2005).

al-Alūsī, Maḥmūd, "Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa-al-Sab' al-Mathānī". (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1994).

al-Andalusī, Abū Ḥayyān Muḥammad, "al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr". Investigated by: Sidqī Muḥammad Jamīl. (1st ed., Beirut: Dār al-Fikr, n.d.).

al-Barkāwī, 'Abd al-Fattāḥ, "Dalālat al-Siyāq baina al-Turāth wa-'Ilm al-Lughah al-Ḥadīth". (1st ed., Cairo: Dār al-Manār, 1411 AH).

al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar, "Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa-al-Suwar". (Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī, n.d.).

Balba', 'Īd, "al-Siyāq wa-Tawjīh Dalālat al-Naṣṣ". (1st ed., Egypt: Balansiyah for publications and distribution, 2008).

al-Rāzī, Aḥmad Fāris, "Mu'jam Maqāyīs al-Lughah". Investigated by: Ibrāhīm Shams al-Dīn. (2nd ed., Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2008).

al-Rāzī, Abū 'Abdillāh Muḥammad, "Mafātīḥ al-Ghaib". (3rd ed., Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1420 AH).

al-Zamakhsharī, Jār Allāh Fakhr, "Asās al-Balāghah". (Beirut: al-Maktabah al-'Aṣriyyah, 2009).

al-Sāmurrā'ī, Fāḍil Ṣāliḥ, "'Alā Ṭarīq al-Tafsīr al-Bayānī". (1st ed., Beirut: Dār Ibn Kathīr, 2017).

Abū al-Su'ūd, Muḥammad ibn Muḥammad, "Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm". (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1928).

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, "al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān". Ta'līq Muṣṭafā al-Bughā. (1st ed., Beirut: Dār Kathīr, 1987).

al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn, "Aḍwā' al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān". (Lebanon: Dār al-Fikr, 1995).

al-Shawkānī, Muḥammad 'Alī, "Fatḥ al-Qadīr". (1st ed., Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1414 AH).

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, "Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl Āy al-Qur'ān". (Beirut: Dār al-Fikr, 1984).

al-'Āriḍī, Muḥammad Ja'far, "al-Dalālah al-Nafsiyyah lil-Alfāẓ fī al-Qur'ān al-Karīm". (PhD Thesis, Sharjah: University of Al-

Qadisiyah, 2002).
Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, "al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr". (Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah, 1984).
al-‘Askarī, Abū Hilāl, "al-Furūq al-Lughawiyyah". Investigated by: Muḥammad Bāsil. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2009).
al-Fairūz Ābādī, Majd al-Dīn Muḥammad, "Baṣā’ir Dhawī al-Tamyīz fī Laṭā’if al-Kitāb al-‘Azīz". Investigated by: Muḥammad al-Najjār. (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, n.d.).
al-Qāsim, ‘Abd al-Ḥakīm ‘Abdullāh, "Dalālat al-Siyāq al-Qur’ānī wa-Atharuhā fī al-Tafsīr". (Master Thesis, Faculty of Theology, Imam Muhammad bin Saud Islamic University).
al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, "al-Jāmi‘ li-Aḥkām al-Qur’ān". Investigated by: Aḥmad al-Bardūnī. (2nd ed., Cairo: Dār al-Kutub al-Maṣriyyah, 1348 AH).
Quṭb, Sayyid, "Fī Ẓilāl al-Qur’ān". (2nd ed., Egypt: Dār al-Shurūq, n.d.).
Ibn Kathīr, Abū al-Fidā’ Ismā‘īl, "Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm". Investigated by: Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1419 AH).
Maḥmūd, al-Muthannā ‘Abd al-Fattāḥ, "Naẓariyyat al-Siyāq al-Qur’ānī Dirāsah Ta’ṣīliyyah Dalāliyyah Naqdiyyah". (1st ed., Amman: Dār Wā’il, 2008).
al-Marāghī, Aḥmad Muṣṭafā, "Tafsīr al-Marāghī". (1st ed., Egypt: al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh, 1946).
Ibn Manẓūr, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn, "Lisān al-‘Arab". (4th ed., Beirut: Dār Ṣādir, 2005).

B. Periodicals

al-Akrat, Aḥmad, "Min Laṭā’if al-Naẓm al-Qur’ānī fī al-Kashf ‘an al-Ma‘ānī fī ‘Sūrat al-Mulk’ Dirāsah Tafsīriyyah". *The Scientific Journal of the College of the Qur’an,* Tanta, Issue 5, (2019).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature



Issue : 20

Apr - Jun 2026

part 2